جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

المادة:
علم الصوت والمعجم العربي
المحاضره رقم (١)
مفهوم علم الصوت

مدرس المادة
م.د اسراء شريف فهد

Scanned with CamScanner

الفصل الأول: التعريف بعلم الصوت

إنتاج الأصوات اللغوية واسس تصنيفها:

الأصوات التي يسمعها الإنسان في حياته كثيرة، ومصادرها متعددة، فمنها ما مصدره الطبيعة كالرعد وخرير الماء، وحركة الرياح واصطدامه بالأشجار والجبال والمباني، ومنها ما مصدره الحيوانات، أو الآلات والمكائن ومنها ما مصدره الإنسان، وما يُسمى بالأصوات اللغوية لا يشمل إلا الأصوات التي يصدرها الإنسان، بل حتى هذه الأصوات لا تدخل كلها ضمن الأصوات اللغوية، فأصوات الضحك والبكاء، والتثاؤب والعطاس، والتجشؤ والشخير، والصفير والتصفيق، ليست من الأصوات اللغوية، وإن كانت تصدر عن الإنسان .

((إن الأصوات اللغوية هي الأصوات التي تصدر من آلة النطق لدى الإنسان واصطلحت المجموعة البشرية التي يعيش بينها ذلك الإنسان على دلالة تلك الأصوات على المعاني حين تنتظم في كلمات وجمل، وقديمًا قال ابن جني في تعريف اللغة: ((أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) وعناية اللغوي يتركز حول هذه الأصوات التي تتشكل منها اللغات، أما الأصوات الأخرى التي يسمعها الإنسان فيُعنى بها علماء الطبيعة، ويدرسها علم من علوم الطبيعة يُعرف اليوم بعلم (الفيزياء) ويمكن أن تكون الأصوات اللغوية موضع عناية علم الفيزياء في ما يُسمى بعلم الأصوات الفيزياوي، لكنه يتعامل معها على أنها ظاهرة تدرس كما تدرس أصوات الطبيعة))[1] .

---

(١) المدخل الى علم أصوات العربية، د.غانم قدوري الحمد: ٤١.

((ثم إن اللغوي إذا أراد أن يدرس أصوات اللغة فعليه أولا أن يدرس كيفية انتاج تلك الأصوات، وأن يعرف خصائص كل صوت، ويحدد أسس تصنيف الأصوات الى مجموعات ليقف على وجوه التشابه والاختلاف بينها، ومقدار التقارب والتباعد فيها، ومما يساعد على ذلك معرفة اعضاء آلة النطق عند الإنسان، والوقوف على كيفية عملها، وسوف نتناول هذه الموضوعات الثلاثة: آلة النطق، وإنتاج الأصوات اللغوية، وأسس تصنيفها))[1] .

وقسمها علماء الأصوات بغية ايضاحها واختصارها، وقبل ذلك لابد من معرفة ماهية الصوت والحرف والفرق بينهما ونشأة الدراسات الصوتية.

المبحث الأول وفيه:

١.الصوت والحرف:

تعريفهما: يمكن لنا التعريف بعلم الصوت أو الصوتيات بأنه: أحد فروع علم اللسانيات، الذي يُعنى بالجهاز الصوتي وخارج اصوات الكلام الإنساني وتبويبها[2].

والحرف يُعرف بأنه:((صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدر)) أو هو((العلامة المرسومة الدالة على الحرف المنطوق))[3] كما في علم الخط، وعددها تسعة وعشرون حرفًا أو ثمانية وعشرون على القولين المبدوءة بـ(الألف والمنتهية بالياء).

٢.الفرق بين الصوت والحرف: لعل مما ينبغي لنا قبل البدء في دراسة النظام الصوتي للغة أن ننبه باختصار إلى الفرق بين (الصوت) وبين (الحرف) على نحو ما يُفرق بين الكلام واللغة، وسأكتفي بقولين في هذا الباب :

---

(١) المصدر السابق:٤٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان:٦٦.

(٣) السابق نفسه.

الاول: ما ذكره د. تمام حسان: بأن الصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو (الأذن) ولا بُدَّ لدراسة هذه العمليات النطقية والآثار المصاحبة من أن تكون ملاحظة حسية، وأحيانًا معملية.

أما الحروف فهي وحدات من نظام, وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات.

والفرق واضح بين العمل الحركي الذي (للصوت) وبين الإدراك الذهني الذي (للحرف) أي: بين ما هو مادّي محسوس، وبين ما هو معنوي مفهوم، وبعبارة اخرى فالصوت يُنطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقي وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية، ولكن الحرف لا ينطق، وإنما يفهم في إطار نظام من الحروف يُسمَّى النظام الصوتي للغة[1].

والثاني: ما ذكره د. محمود حجازي بقوله: ((إن طبيعة اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة مسموعة، فالكتابة في أحسن أحوالها محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي، وهذه المحاولة دقيقة أحيانًا وغير دقيقة في أكثر الأحيان، والكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، فاللغة تُسمع بالأذن والكتابة تُرى بالعين، والكتابة محاولة لترجمة الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، والكتابة محاولة لنقل اللغة من بعدها الزمني إلى البعد المكاني، فالظواهر الصوتية تتتابع في الزمن والحروف المكتوبة تتتابع في المكان، وإذا كانت اللغة في المقام الأول ظاهرة صوتية فمن الطبيعي أن يقوم البحث اللغوي بدراسة اللغة في صورتها الصوتية.

---

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :٦٦-٧٤ .

وعلينا أن نميز دائمًا بين الطبيعة الصوتية للغة وكيفية تدوين هذه اللغة، فالخط العربي شيء واللغة العربية شيء آخر، الخط العربي ذو إمكانات معينة يحاول بها التعبير عن الواقع الصوتي فالخط يتعامل بالحروف، وعلم اللغة يتعامل بالأصوات، لكن الخط العربي بشكل ما تدوين أصوات اللغة العربية إلا أن الحركات القصيرة وهي (الضمة، والفتحة، والكسرة) ليست لها حروف في الخط العربي، ولذا فكتابتها أمر اختياري، ولكن الحركات القصيرة شأنها شأن الحركات الطويلة (الالف، الواو، الياء) عناصر أساس في تكوين النظام اللغوي للعربية وكل اللغات؛ لأن تغيير الحركات يؤدي إلى تغيير المعنى فالفرق بين (ضَرِبَ) المبني للمعلوم (وضُرِبَ) المبني للمجهول فرق في الحركات أدى إلى تحول في الصيغة وتغير في المعنى...

وثمة فرق آخر بين الحروف والأصوات، يتضح هذا الفرق بأن نلحظ أن حرف الواو في الخط العربي يرمز إلى ظاهرتين صوتيتين مختلفتين في اللغة العربية، فالواو ترمز في تدوين الكلمات: ورد، ولد، إلى صوت صامت في العربية، بينما ترمز الواو نفسها في تدوين الكلمات خلود، سرور، شهود، إلى حركة طويلة في اللغة العربية، وكذلك حرف الياء في الخط العربي، فهو يرمز تارة إلى صوت صامت في الكلمات: يكتب، يلعب، وتارة أخرى إلى حركة في الكلمات: في، لي، ولهذا كله لا يجوز في بحث اللغة العربية أو أية لغة أخرى أن نتعامل بالحروف المكتوبة، بل علينا أن ندرس الأصوات اللغوية المكونة لهذه اللغة، محاولين في كل حالة أن نتبين الواقع الصوتي للغة مراعين مدى الاختلاف بين اللغة باعتبارِها ظاهرة صوتية وكيفية تدوينها بالحروف))[1].

---

(١) علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي: ١١-١٢ .

٣. نشأة الدراسات الصوتية العربية:

نشأ علم الصوت وبرزت ملامحه على يد العالم العربي العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ويعد أول عالم في الصوتيات كتب فيه أول مصنف لأصوات العربية متمثلا(بمقدمة كتابه العين) ثم توالت العناية به كما سيظهر لنا بعد قليل إن شاء الله.

((ويرتبط ظهور الدرس الصوتي العربي بنشأة الدراسات اللغوية العربية، التي يمكن أن يؤرخ لبدئها بنزول القرآن الكريم وتدوينه، ثم تلاوته وتعليم قراءته، وإذا كانت الملاحظات اللغوية الأولى قد صدرت من عدد من أولي الأمر والعلماء من الصحابة والتابعين بصورة شفهية فإن الجهد اللغوي المنظم بدأ بالأوراق الأربع التي ذكر ابن النديم أنه شاهدها بخط يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي، فيها كلام عن الفاعل والمفعول، ثم اتسعت حركة جمع اللغة واستخلاص قواعدها، حتى انتهى ذلك الجهد بظهور الكتب الجامعة التي تضم ألفاظ اللغة، على نحو ما نجد في المعجمات كالعين للخليل، أو تعرض قواعد اللغة على نحو ما نجد في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحويين واللغويين))[١] .

وكانت بواكير الدرس الصوتي العربي قد جاءت مختلطة بالدراسات اللغوية والنحوية الأولى، فنجد في مقدمة معجم العين ملاحظات عن أصوات العربية، كما تضمن كتاب سيبويه مباحث مهمة عن أصوات العربية خاصه في باب الإدغام وباب الوقف، ولا يكاد يخلو بعد ذلك كتاب قديم من الكتب المؤلفة في النحو أو الصرف من مباحث صوتية، على نحو ما يتضح من قائمة مصادر الدرس الصوتي العربي من هذا الفصل .

---

(١) المدخل الى علم أصوات العربية:٦.

((والذي نريد أن نؤكده ونحن بصدد البحث في نشأة الدراسات الصوتية العربية وتنبع مراحل تطورها، مما لا يتضح من مجرد النظر في قائمة المصادر المشار اليها، هو أن المباحث الصوتية العربية قد تطورت في القرن الرابع والخامس للهجرة الى علم مستقل، كما يبدو ذلك عند ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب))[1] ... ولا يقلل من شأن كتاب (سر صناعة الإعراب) في ميدان الدرس الصوتي العربي ما ورد فيه من مباحث صرفية ولغوية أخرى))[2] .

ويُظهرِ استقلال هذا العلم بصورة اكثر جلاء لدى علماء التجويد، الذين خصصوا للمباحث الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن الكريم كتبا مستقلة عن كتب القراءات، وأطلقوا عليها اسم علم التجويد، وكان بدء ذلك في القرن الرابع الهجري على يد أبي مزاحم الخاقاني الذي نظم قصيدة في حسن أداء القرآن، قال عنها ابن الجزري: إنها أول مصنف في علم التجويد[3]، على نحو ما سنذكر في مصادر الدراسة الصوتية في البحث الآتي .

وتُبين الكتب المؤلفة في علم التجويد في القرن الخامس التي وصلت الينا اكتمال صورة هذا العلم وشمول مباحثه دراسة اصوات اللغة من جميع الوجوه، وكان الحسن بن القاسم المرادي قد لخص مباحث علم التجويد بقوله: ((إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور :

أحدها: معرفة مخارج الحروف .

والثاني: معرفة صفاتها .

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام .

---

(١) سر صناعة الاعراب:١/ ١٠ .

(٢) المدخل الى علم اصوات العربية:٧.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٣٢١ .

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار))[1] .

((ولا يكاد كتاب من كتب علم التجويد يخلو من الأمور الثلاثة الأولى: المخارج، والصفات، وأحكام التركيب، وهي الموضوعات الرئيسة في اصوات العربية، قديما وحديثا، أما الأمر الرابع فإنه ذو جانب عملي يتعلق بالتلقي من المعلم وتمرين اللسان على النطق الصحيح))[2] .

ومن المناسب أن نذكر القارئ أن الدراسات الصوتية العربية نشأت نشأة أصيلة، وتطورت تطورا ذاتيا، استجابة لحاجة الناطقين بالعربية والدارسين قواعدها، وقطعت في ذلك شوطا بعيدا، وجاءت الدراسات الصوتية العربية الحديثة مؤسسة عليه، ومكملة له، ويعترف بعض المؤرخين لتأريخ الدراسة الصوتية اللغوية في العالم بسبق الدراسة الصوتية العربية غيرها في تثبيت حقائق هذه الدراسة على أسس علمية.

وتتفاوت الكتب المؤلفة في علم أصوات العربية في العصر الحديث في مقدار اعتمادها على مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة، فمنها ما يحس القارئ فيه أنه ترجمة حرفية من كتب علم الأصوات الغربية، ومنها ما خلط بين المصادر القديمة والمصادر الحديثة، لكن أكثر المؤلفين يعطون مصادر الدرس الصوتي الغربي مساحة أكبر في كتبهم، والخير في الاعتدال وتحري الحقيقة، فما دامت الحقيقة في كتب الدراسة الصوتية العربية القديمة فالأولى الرجوع إليها، وإلا فالحكمة ضالة المؤمن.

---

(١) المفيد: ٣٩.

(٢) المدخل الى علم اصوات العربية: ٨.